التحصينات العسكرية في بلاد حمزة خلال العهد العثماني: برج حمزة وبرج سور الغزلان

Military Fortifications in Hamzah, Ottoman Empire

Les fortifications militaires dans la région de Hamza à l'époque Ottomane: Bordj Hamza et Bordj Sour El Ghouzlan

د.رشيدة شدري معمر

جامعة آكلي محند أولحاج- البويرة-

تاريخ الإرسال: 2019-02-24–**تاريخ القبول:**2020-02-10-**تاريخ النشر:**2021-12-31

ملخص

تعتبر منطقة حمزة أو البويرة حاليا منطقة عبور بين عدة مناطق، وهذا منذ تأسيسها على يد حمزة بن الحسن العلوي في القرن 3هـ/9م، أين أخذت اسمه وأصبحت مركزا تجاريا هاما يربط عدة مدن، مثل أشير وقلعة بني حماد وبجاية، عبر مسالك وطرق تجارية عامرة، وقد استمر هذا الدور خلال العهد العثماني، الذي بدأ مطلع القرن 16م، أين لعبت دورا فعالا في تأمين التواصل بين دار السلطان وبايلك قسنطينة من جهة، وبايلك التيطري من جهة أخرى، عن طريق نقاط المراقبة التي أقامتها في المنطقة أشهرها برج حمزة وبرج سور الغزلان.

الكلمات الدالة: منطقة حمزة؛ الأبراج؛ سور الغزلان؛ البويرة.

Abstract

Hamza or Bouira is currently a transit area between many areas, And this since its founding by Hamza bin Hassan Al-Alawi in 3rd century Hidjri / 9th century Gregorian, Where it took its name, and became an important commercial center linking several cities, such as Asheir and Qal'at Bani-Hammad and Bejaia, Across routes and busy commercial roads. This role continued during the Ottoman period, which began in the early 16th century, Where played an active role in securing communication between Dar Al-Sultan and Bailek of Constantine on the one hand, and Baylk Titri on the other hand,through The observation points, it established in the area, most notably the Hamza Tower and the Sour El-Ghozlane Tower.

Keywords: Hamza area; towers; Sour El-Ghozlane; Bouira.

Résumé

La région de Hamza ou de Bouira est actuellement une zone de transit entre plusieurs régions. Depuis sa création par Hamza Ibn Al-Hasan Al-Alawi au 3ème siècle Hidjri/9 Siècle grégorien, elle a pris le nom de son créateur et est devenue un important centre commercial reliant plusieurs villes telles que Asheer et Qal'at Bani Hammad et Bejaia. Ce rôle s'est poursuivi pendant la période ottomane, qui a débuté au début du XVIe siècle, au cours de laquelle, elle joué un rôle actif dans la sécurisation de la communication entre Dar al-Sultan et Bailek Constantine, d'une part, et Baylak al-Tatari, de l'autre part, grâce à l'établissement des points d'observation dans la région.

Mots clés: Région de Hamza, les forts (Bordjs), Sour El Ghozlane, Bouira.

مقدمة

تعتبر منطقة حمزة أو البويرة حاليا منطقة عبور وربط بين جهات الوطن الأربعة، خاصة بين مدينة الجزائر وبايلك الشرق، لهذا عمدت السلطة العثمانية إلى وضع حاميات عسكرية بها من أجل توفير الأمن، وحماية الطرق التي تمرّ عليها الحامية العسكرية العثمانية من دار السلطان نحو قسنطينة ولجباية الضرائب عند خروج المحلّة، ومراقبة تحركات القبائل بالمنطقة، خاصة القبائل الممتنعة والرافضة للسلطة العثمانية، ومن بين هذه الحاميات التي أنشأتها السلطة العثمانية نجد برجين هامين هما: برج حمزة وبرج سور الغزلان.

1. أصل التسمية

تعرف منطقة "حمزة" حاليا باسم "البويرة"، وقد أقيمت المدينة على سهل فسيح عرف بوطن حمزة، وهي تعد من أهم المدن الداخلية بمنطقة زواوة (خلفات،2011). ويختلف أصل تسمية المدينة باسم "البويرة" باختلاف الروايات، منهم من يرجعها إلى بئر بالمنطقة كانت تشرب منه السباع وكل من اقترب منه تفترسه فسمي "بئر إيرا" حسب التعبير الأمازيغي المحلي أي "بئر السباع"،(مصلحة التراث الثقافي، 2005) وهنالك رواية تقول إن سبب التسمية يرجع إلى ترك أراضيها الخصبة بورا فسميت المدينة "بويرة" تصغيرا لكلمة بور (الخالدي، 2014)، وهنالك رواية تستمد من اللغة المحلية في أن المدينة سميت نسبة لنبات "ثوفيرست" التي تعني المشيمشة أو الزعرور.

وأما تسميتها باسم "حمزة" فنسبة إلى مؤسسها وهو حمزة بن الحسن العلوي، (حمزة بن الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي

طالب رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وهذا في منتصف القرن التاسع ميلادي أي سنة 850م في عهد الدولة الإدريسية (محمد الشريف، 2010).وقد عرفت المدينة في الفترة الوسيطة حسب أغلب المصادر بعدة أسماء منها: مدينة حمزة، سوق حمزة، وحائط حمزة، فنجد "ابن حوقل" يشير إليها تحت اسم حائط حمزة فقال: "...ومن أراد من سطيف إلى حائط حمزة إلى أَشير كان أقصد له إن كان يريد **المغرب**".(ابن حوقل، 1872، ص 59).

أما "ياقوت الحموي" فقد ذكرها بقوله: "وهناك مدينة تسمى حمزة نزلها وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأبوه الحسن بن سليمان هو الذي دخل المغرب، وكان له من البنين حمزة هذا وعبد الله وإبراهيم وأحمد ومحمد والقاسم وكلهم أعقب هناك" (الحموي، 1993، ص 302). كما ذكرها كذلك نقلا عما رواه أبي القاسم الدمشقي عن أبي عبد الله التستري قوله: "...سوق حمزة بلد آخر بالمغرب وهي مدينة عليها سور ينزلها صنهاجة منسوبة أيضا إلى حمزة بن حسن بن سليمان...."(الحموي، 1993، ص302)

ونفس القول يذهب إليه "البكري" الذي قال عنها: "وهناك مدينة تسمى حمزة نزلها وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضه)، والحسن بن سليمان هو الذي دخل المغرب، وكان له من البنين حمزة هذا وعبد الله وإبراهيم وأحمد ومحمد والقاسم وكلهم أعقب وعقبهم هناك" (البكري، 1992، ص 370). وقال عنها في موضع آخر واصفا المدينة: "إلى سوق حمزة وهي مدينة عليها سور وخندق وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة، وكان نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضه" (البكري، 1992م ، ص 371).

كانت أولى المدن التي نزل بها العلويون ببلاد المغرب الإسلامي مدينة **هاز** ،وهي حسب البعض مدينة بوسيف حاليا (خلفات، 2011)، وقد استقر بها الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي (رضه)، وبها تأسست مملكة هاز، التي تمتد من مدينة حمزة بالقرب من جرجرة إلى زاغر الشرقي إلى نواحي قصر البخاري، مشتملة على سهل حمزة وقرى عين بسام وسور الغزلان وسيدي عيسى...وغيرها، واستمرت مملكة هاز في يد بني الحسن العلوي حتى أخذها منهم زيري بن مناد الصنهاجي الذي دمر

المدينة(الميلي،1986،ج2)، وفي هذا يقول البكري: "مدينة هاز على نهر شتوي، أجلى أهلها زيري بن مناد الصنهاجي..." (البكري، 1992، ص829). ليتم القضاء عليها على يد القائد جوهر أيام المعز بن المنصور.

أما "اليعقوبي" فقد أشار إليها بقوله: "ومن هذا الموضع البلد الذي تغلب عليه الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين (الأصح الحسن) بن علي بن أبي طالب، وأول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز، سكانها قوم من البربر القدم، يقال لهم بنو يرنيان من زناتة أيضاً، ثم مدن بعض سكانها صنهاجة، وزواوة، يعرفون بالبرانس، وهم أصحاب عمارة وزرع وضرع، وإلى هاز ينسب البلد، وبينها وبين عمل أدنة مسير ثلاثة أيام" (اليعقوبي، ص 191).

لكن يبدو أن "اليعقوبي" وقع في خطأ، لأن الأصح أن الحسن بن سليمان بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وليس الحسين، حسبما تشير إليه بعض المصادر مثل "ابن حزم الأندلسي" حينما تكلم عن نسب مؤسسها حمزة بن الحسن العلوي حينما قال: "ومنهم حمزة بن الحسن بن سليمان بن سليمان ابن الحسين ابن علي ابن الحسين ابن علي بن أبي طالب، ملك هاز في أرض المغرب، وملك قطيعا من صنهاجة، وإليه ينسب سوق حمزة، وولده بها كثير، وكذلك أيضا ولد إخوته في تلك الجهة" (ابن حزم، 1948).

2. منطقة حمزة خلال الفترة الإسلامية

كانت منطقة حمزة تابعة لقبيلة صنهاجة البربرية التي تمتد من المسيلة إلى حمزة والجزائر وملیانة والمدية، ولهم بطون كثيرة بحمزة مثل بني جعد ومتنان (ابن خلدون، 2000)، كما وأنها خضعت لحكم العديد من الدول التي تعاقبت على المغرب الأوسط مثل: الفاطمية حيث نزل بها المنصور بن القائم بأمر الله، بعد قيامه بعدة حملات على سوسة، القيروان، المسيلة، ثم توجه إلى صنهاجة في شتاء 535هـ/947م، ونزل بحائط حمزة أين التقى الأمير زيري وإخوته وأغدق عليهم الهدايا من خيول مسرجة بالذهب والفضة، نظير مساعدتهم له ضد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي (صاحب الحمار) الموالي للأمويين، التي اندلعت بجبل الأوراس سنة 332هـ/944م (روجي، 1992)،أما في الفترة الزيرية، فبعدما تولي زيري بن مناد الحكم، قام ببناء مدينة أشير

سنة 324هـ/936م، بمساعدة الخليفة الفاطمي، الذي أمده بكل المعدات خاصة الحديد، كما وضع تحت تصرفه مهندسا معماريا، وبعدما أتّم البناء عمرها ببعض الأعيان من طبنة، المسيلة وحمزة (روجي، 1992).

أما في الفترة الحمادية، فقد قام حماد بن بلكين بتخريب كل من مدينتي حمزة والمسيلة، ونقل السكان إلى قلعة بني حماد بعد تأسيسها سنة 398هـ/1008م (روجي، 1992؛ الميلي، 1986، ج2). حيث أشار ابن خلدون إلى هذا بقوله: "اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة... ونقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخربهما" (ابن خلدون، 2000، ص227). في حين أنه وفي عهد الدولة الموحدية التي تعتبر أول دولة وحدت أقطار المغرب الإسلامي تحت حكم أبنائه (الشريف، ص 391).

وبعد تولي عبد المؤمن بن علي الكومي الحكم (1133-1163م) سيطر على بجاية سنة 547هـ/1152م (الجيلالي، 1965)، ومعها خضعت بلاد حمزة للموحدين، أما بعد سقوط دولتهم وانقسامها إلى ثلاث دويلات، وهي الدولة المرينية بالمغرب الأقصى والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، فإن بلاد حمزة تأرجحت بين هذه الدول التي عاشت صراعات دائمة بينها، خاصة وأنها كانت تابعة لمنطقة المغرب الأوسط التي كانت تحت الحكم الزياني،والتي كانت تتعرض دوما لهجمات الحفصيين والمرينيين ، بحكم موقعهم الوسطي (ينظر: ابن خلدون، الجيلالي، الميلي). أما في العهد العثماني، فقد كانت مدينة حمزة مقسمة بين بايلك الشرق وبايلك التيطري.

3. مدينة حمزة خلال الفترة العثمانية

المعروف أن العثمانيين لما دخلوا إلى الجزائر قسموها إداريا إلى أربع مقاطعات أساسية هي:

- دار السلطان وعاصمتها مدينة الجزائر.
- بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة.
- بايلك الغرب وعاصمته مازونة، ثم معسكر، وأخيرا وهران بعد تحريرها 1792م.
- بايلك التيطري وعاصمته مدينة المدية وهو ما يهمنا من هذا التقسيم الإداري.

فمدينة أو وطن حمزة (ولاية البويرة) حاليا، كانت في الفترة العثمانية، أطراف وأجزاء منها تابعة لبايلك الشرق كدوائر شرق الولاية جميعها، أما الأجزاء الأخرى منها بالناحية الغربية فقد كانت تابعة إداريا لبايلك التيطري، كدوائر سور الغزلان وعين بسام وجزء من (وطن بني جعد)، قبل أن يلحق هذا الأخير بدار السلطان في نهاية الفترة العثمانية، بل أن برج حمزة ذاته، حاضر الولاية حاليا، كان تابعا لبايلك التيطري، ثم فصل عنه، ليصبح تابعا لدار السلطان منذ سنة1820. ويقع وطن حمزة شرق بايلك التيطري، ويضم قاعدة ديرة التي تتشكل من عدة قبائل هي: أولاد دريس، أولاد بركة، أولاد فارهة، أولاد بوعريف، أولاد مريم، أولاد سليم، أولاد علوش، بني عقبة، مغراوة، أولاد علي بن داوود، أولاد موسى، أولاد سيدي عمرو، جواب، أولاد نهار، أولاد سيدي عيسى و أولاد عبد الله (Federman; Aucapitaine, 1867)، وهاتين الأخيرتين تدخل في خدمتهما قبيلة أولاد سلامات (سلامة)، التي كلفت من قبلهما بخدمة أراضي العزل، التي منحت لهما من طرف البايلك (Rinn, 1900).

وتعتبر هذه الأراضي، نوع من أنواع الملكيات الزراعية التابعة للبايلك ،كانت تمنحها السلطة العثمانية للقبائل الجبلية والأسر ذات النفوذ السياسي والديني، مقابل التزامها بحفظ الأمن في المناطق الجبلية المستعصية. (معاشي، 2001) وكان يفصل بين هذه القبائل جبل ديرة، وهي تشارك في الحياة الحضرية أو الرعوية حسب موقعها من هذه السلسلة الجبلية(عباد، 2011)، ورغم تميز بعضها بطابعها الرعوي إلا أنها ليست من القبائل الرحل (Federman; Aucapitaine, 1867).

وقد شهدت المنطقة خلال العهد العثماني عدة اضطرابات وخلافات بين القبائل، وحتى تمردات وثورات ضد البايلك، والتي كادت تعصف بالوجود العثماني ببايلك التيطري، منها ثورة شيخ قبيلة عريب رابح بن طالب سنة 1809م، بعد خلاف بين قبيلة عريب التابعة لباي التيطري وقبيلة بني سليمان التابعة لآغا العرب، حول أرض بواد جنان بديرة، ولما فشل الداي في حل الأمر، قام رابح بن طالب بجمع 8000 فارس من قبائل متيجة وقبائل التل وحتى الصحراء، وهاجم ديرة وبرج سور الغزلان، فكلف الداي الباي محمد بوكابوس بتأديب قبائل عريب، فأغار عليها هذا الأخير بجيش قدره 800 زنبطوط و4000 فارس من القبائل القوية، وقمع قبائل عريببعنف فقتل عدداً كبيراً

منهم وأخذ معه 200 امرأة و45 رجلا قطع رؤوسهم في السوق وعلقها على أسوار مدينة المدية حتى تكون عبرة للمتمردين، أما رابح بن طالب فقد تمكن منه الباي بسور الغزلان وقتله(Federman; Aucapitaine, 1965)(Mercier, 1868)، لذلك أنشد أهل عريب:

السوق عامر والبراح يبرح

ألي قتل علينا رابح لا يربح (Federman; Aucapitaine, 1965)

4. الأبراج العسكرية في منطقة حمزة

المعروف أن عدد أفراد الجيش الإنكشاري في الجزائر لم يكن مرتفعا مقارنة بعدد السكان، إضافة إلى أنه لم يكن متواجدا في جميع البلاد بل اقتصر على المدن وبعض المناطق الإستراتيجية (Bontems, 1976)، وحتى تبقى السلطة المناطق المجاورة لدار السلطان، خاصة منطقة الزواوة تحت نفوذها، وحتى تعزز دور قبائل المخزن في حماية طرق المواصلات، ومراقبة تحرك القبائل الجبلية نجدها أحاطت المنطقة بسلسلة من الأبراج العسكرية كبرج سيباو وبرج بوغني، برج منايل، برج حمزة، برج سور الغزلان (سعيدوني، 1994)، خاصة وأن سكان هذه المنطقة، ونظرا لطبيعتها الجبلية ساد الاعتقاد لديهم أن بلادهم منيعة، وهذا منذ العهد الروماني حتى الدخول العثماني في القرن16م، وهذا الاعتقاد كان عامل رفض السكان للسلطة العثمانية، لهذا أحاطتهم بمجموعة من الأبراج (سي يوسف، 1998).

كانت الحاميات المتواجدة بكل برج تستبدل كل ربيع لتخلفها حامية أخرى في البرج(ابن ميمون، 1981)، الذي يديره مجموعة من الموظفين كقائد الشؤون القضائية وشاوش وخوجايين للمراسلات قائد الدار، قهواجي،12 موسيقيا، 60 حارسا مسلحا، وقائد البرج الذي منحت له سلطات واسعة حتى سلطة الموت والحياة (فرج ،2002)، وتجنيد قبائل المخزن المقيمة قرب البرج وجعلها على استعداد لحمل السلاح إذا طلب منها ذلك، من أجل تعزيز مراقبتها لطرق المواصلات ونقاط العبور ولإبقاء ولاء القبائل المتعاملة معها.(سعيدوني،1994) كما منحت له صلاحيات تقسيم الميراث في القبائل الخاضعة وتعيين شيوخهاوجباية الضرائب وتنظيم الأسواق.(Robin, 1873)

وقد نُصّبت هذه الأبراج في المناطق السهلية الفلاحية، وهي سياسة عثمانية تهدف إلى التحكم واستغلال الأراضي الزراعية التي كانت مصدر عيش السكان، رغم أن هذه

السياسة لم تفلح مع القبائل القريبة من دار السلطان، التي فضلت التمركز بالجبال وترك السهول فرارا من دفع الضرائب، كما أن عدد أفراد الحامية الذي لم يكن يتجاوز 20 جنديا جعلها تتعرض للتخريب دوما. (شويتام، 2010)

نظرا للأهمية التي كانت تحتلها المنطقة فقد شهدت إقامة نقاط مراقبة منها: برج أخريص، برج واد البارد، برج أولاد عنان، برج حمزة، برج سور الغزلان، وهذه الأبراج تدخل ضمن سلسلة الأبراج التي أنشأها العثمانيون من أجل إقرار الأمن والاستقرار في المناطق التي يميل سكانها للعصيان والتمرد، وكذلك لتسهيل عملية جمع الضرائب. أما عن أهم الأبراج التي نصبت في بلاد حمزة نجد برجين هامين هما:برج حمزة وبرج سور الغزلان.

1.4 بـرج حمـــزة

لقد أشار العنتري إلى أنه ما بين 1540-1541م، أنشأ حسن قورصو عدة أبراج منها: زمورة، برج بوعريريج، المسيلة، البويرة، (العنتري، 1991)، لكن الملاحظ أنه لم يشيرإلى اسم البرج، كما أنه في هذه الفترة ليس حسن قورصو من كان في الحكم بل حسن آغا، أما بخصوص البرج، فجل الباحثين يجمعون على أن البرج بني في النصف الثاني من القرن 16م (درياس، 1990)، من طرف الباي أرباي حسن قورصو (1556-1557م) (الشريف،2010)، مكان سوق حمزة على ربوة تطل على واد الدهوس، له باب رئيسي واحد، ونظرا لموقعه الطبيعي الحصين لم تتم إحاطته بأبراج دفاعية ولا بخندق عازل لصد الهجمات، بل زود فقط بدعامات دفاعية وضعت عليها المدافع وفتحات للمراقبة(سعيدوني، 2004). يعد البرج نقطة مراقبة للقبائل المنافسة للسطوح الجنوبية والغربية لجرجرة، ونواحي بني سليمان البرواقية، وهو الطريق المؤدي إلى واد الساحل ببجاية نحو سور الغزلان وسهول عريب وبني سليمان، ليصبح سوق حمزة مركزا للحراسة ومراقبة الطريق السلطاني الرابط بين الجزائر وقسنطينة، ومراقبة قبائل جرجرة والبدو بسهول عريب وبني سليمان منذ القرن 16م (سعيدوني، 2004).

كانت بالبرج حامية عسكرية من المشاة (Shaw, 1980)، تتكون من ثلاث صفرات،كل صفرة بها حوالي 16 جنديا (Federman; Aucapitaine, 1965)(غطاس وآخرون، 2007). أي حوالي 48 جندي، وقد تضاربت الآراء حول عدد الجند بالبرج، فقدر البعض عدد الجند به أواخر العهد

العثماني بحوالي 50 جنديا (سعيدوني، 2004)،في حين هناك من قدر عددها سنة 1785م بـ40 جندي وبعض المدافع (Peyssonnel, Desfontaines, 1838)، أما سنة 1829م فقد قدرها "روبان" بـ62 جنديا (Robin,1873).في حين ورد في بعض المصادر أن عددهم في نفس السنة كان 15 جندي فقط (مجهول، 1999)(Devoulx, 1852).

كان البرج مقرا لتجميع الضرائب والغرامات، ويراقب تحركات القبائل بين التيطري وقسنطينة، وهو ما جعله سوقا هاما منذ أواسط القرن 16م، تجتمع فيه القبائل من جرجرة والتيطري والبيبان، ديرة، وهذا الأمر جعله كذلك مقرا لعدة تمردات ضد سلطة البايلك (سعيدوني، 2004)، منها الهجوم الذي تعرض له البرج، بعد الهجمات المتكررة للقبائل على برج بوغني ما بين 1746/45م، وقرار الداي إبراهيم باشا إخضاع القبائل الواقعة بين واد عيسي وواد بوقدورة، وفصل قبيلة عمراوة المخزنية عن سهل بوغني، فأرسل لذلك حاميتين واحدة بقيادة أحمد آغا والأخرى بقيادة علي باي التيطري (Robin; le bey, 1873)، فثارت قبائل زواوة ضد القائد محمد الذباح وهاجمت برج بوغني وبرج حمزة (Boyer, 1966).

وقد وصف "ابن حمادوش" ما حدث بقوله: «فوافق ذلك نفوذ وعد الله بطائفة ...من زواوة أن نافقوا على القائد محمد، قائد سيباو الذباح، فبعث إلى إبراهيم باشا فأمده آغا الصبايحية معهنحو المئاتي يولادش. فلم يأت اجتماع الشمس والقمر. حتى هلكت دشور القبائل وبعث يوم الثلاثاءسبعين رأسا على الجمال وأردفها من الغد أربعة عشر رأسا، ونهبوا أمتعتهم وأموالهم وحرقوا دشورهم» (ابن حمادوش، 1983،ص163)، ليعين على إثر هذا محمد الذباح بايا على التيطري، وتصبح بهذا منقطة زواوة تابعة للبايلك.ونتيجة لهذه الهجمات دعم البرج في القرن 17م بـ18 مدفعا من عيار 18 و24، لكن ورغم هذا فقد تعرض البرج مرة أخرى إلى هجمات القبائل عام 1756م، ولم يرجع إليه الهدوء إلاّ بعد استرجاعه من طرف السلطة منتصف عام 1757م، فهذه الهجمات المتكررة، والاضطرابات ببلاد القبائل، جعلت منه مجرد قاعدة عسكرية للمراقبة وحالت دون تطوره إلى تجمع سكاني (سعيدوني، 2004). ليشهد البرج سنة 1775م هجوما آخر من طرف القبائل وهو ما دفع السلطة إلى تدعيمه بعناصر من الكراغلة من مخزن الزواتنة، الذي تشكل بعد فشل ثورتهم سنة 1628م (درياس، 1990).

2.4 برج سور الغزلان

أسس البرج في النصف الثاني من القرن 16م على أنقاد مدينة أوزيا الرومانية (Shaw,1980)، التي تسمى حاليا سور الغزلان ، وتعد من أهم المواقع الأثرية الرومانية في شمال إفريقيا، تعرضت للتهديم منذ أواخر العهد الروماني وما بعهده (أوهابنستريت، 2007). وحسب "هايدو" فقد بني من طرف مصطفى باشا سنة 1595م الذي لم يبق في الحكم إلا 4 أشهر (Haedo, 1881)(الجيلالي، 1964)، وهو نفس ما ذهب إليه "دوغرامو" بخصوص المؤسس، غير أنه يذكر أن تاريخ إنشائه كان سنة 1593م (De Grammont, 1987). لكن مصطفى باشا تولى الحكم في جويلية 1595م خلفا لشعبان باشا الذي غادر إلى اسطنبول (الجيلالي، 1964).

تواجدت بالبرج حامية عسكرية تتكون من صفرتين (Federman ; Aucapitaine, 1965). وكان البرج منطلقا لمحلة الباي أثناء جمعه الدنوش، عند وصوله لبلاد حمزة، أين تقدم له قبائل المنطقة بدل ضريبة المعونة، ضرائب تسمى "ضيفة الباي"التي كانت تدفع سنويا للبايعند مروره على أراضي قبائل الرعية (Bouabba, 1972)، وهو الذي يحدد مقدارها، وتكون حسب مكانة القبيلة، ومحصولها يدفع جزء منها شتاء وجزء صيفا، فنجد مثلا أولاد علان يدفعون 2500 فرنك، وأولاد حسن بن علي 1500 إلى 2000 فرنك وقاعدة ديرة 3600 فرنك (Federman; Aucapitaine, 1965) يرجع الهدف من بناء هذا البرج هو مراقبة قبائل ديرة وونوغة وتأمين الطريق نحو قسنطينة أثناء تمرد القبائل (أو.هابنستريت، 2007)، أما سبب بنائه فيرجع إلى الصراع الذي كان بين العثمانيين وأمراء قلعة بني عباس، خاصة بعد تحرير بجاية سنة 1555م، أين ازداد تخوف عبد العزيز أمير بني عباس من العثمانيين، فقام بتحصين قلعته (معاشي، 2001)، وقطع الطريق الرابط بين قسنطينة ودار السلطان، مما صعب الاتصال بالبايلك، إلا عن طريق بوسعادة وسور الغزلان (Boulifa , 1925).

فهذا الصراع الذي كان بين الطرفين، منذ الدخول العثماني للجزائر، استمر إلى غاية نهاية عهد البايلربايات وبداية عهد الباشوات، فبعد وفاة عبد العزيز سنة 1559م واستخلافه من طرف أخيه أحمد أمقران (1559-1596م) (سي يوسف، 2002)، الذي عقد الصلح مع الأتراك مقابل احترام القبائل الخاضعة لهم (عباد، 2011)، لكن هذا الصلح لم

يعمر طويلا، حيث استغل أمقران انشغال العثمانيين أواخر البايلربايات، وأعاد بناء جيشه المتكون من 14 ألف رجل و3 آلاف فارس، ووسع نفوذه نحو طولقة بسكرة وبوسعادة، وهاجم الحاميات التركية بزمورة وبرج بوعريرج (عباد، 2011)، ورفض دفع الضريبة للعثمانيين (De Grammont ,1887). الأمر الذي أدى بالسلطة المركزية إلى تجهيز حملة ضد قلعة بني عباس 1590م عهد خضر باشا وبدعم من آل القاضي (Boulifa, 1925)، ودامت شهرين من ديسمبر 1590م إلى جانفي 1591م وكرد على هذه الحملة قام أمقران بتخريب القلعة، وهذا بإشعال النار بالقرى ولم ينته الصراع إلا بعد تدخل أحد المرابطيين، ودفع أمقران غرامة قدّرت بـ30 إيكو (أوقجة) (244000 فرنك) (Haedo ,1881;De Grammont, 1887)(Berbrugger ,1857).

واستمر الصراع بين أمراء القلعة والعثمانيين، حيث ثار أمقران مرة أخرى بعد سنتين فقط أي سنة 1592م، عندما فرض عليه شعبان باشا الذي تولى الحكم في نفس السنة ضريبة ثقيلة، فرفض أمقران دفعها، فأعلن باي قسنطينة الحرب عليه (عباد، المرجع ،2011)، وهو ما دفع بأمقران إلى قطع ممر البيبان ومنع الجباة من المرور، وعرقلة المحلة المكلفة بجمع الضرائب (عباد، 2011)، ومحاصرة المدية، مما اضطر خليفة شعبان باشا (الداي مصطفى) إلى إنشاء حامية سور الغزلان لضمان الاتصال بين الجزائر وقسنطينة (De Grammont,1887).

تعرض البرج لهجمات القبائل مثل قبائل عريب، التي هاجمته سنة 1809م، هذه الأخيرة كانت تحت زعامة شيخها رابح بن طالب الذي جمع القبائل، وهاجم قاعدة ديرة وبرج سور الغزلان، فكلف الداي الباي محمد بوكابوس بتأديب قبائل عريب، فأغار عليها وقام بقمعها بعنف، فقتل عدداً كبيراً منهم وأخذ معه 200 امرأة و45 رجلا قطع رؤوسهم في السوق وعلقها على أسوار مدينة المدية حتى تكون عبرة للمتمردين (Mercier, 1868)(عباد، 2011)،(غطاس وآخرون،2007)،(Federman et Aucapitaine, 1865).

والملاحظ أن المصادر لم تتناول وتتوسع بالدراسة حول البرج ودوره العسكري، إلا ما ذكره "عباد"، بحيث ساهمت الحامية الموجودة في البرج في القضاء على تمرد أولاد مقران سنة 1815م ضد الباي شاكر، وهذا بعد قتله لثمانية من زعمائها سنة 1814م،

ولم يتم القضاء على التمرد إلا بعد الاستعانة بالحامية العسكرية الموجودة بسطيف وسور الغزلان(الجيلالي، 1964).

إضافة إلى هذين البرجين اعتمدت السلطة العثمانية في إحلال الأمن بالمنطقة وفي كافة الجزائر على قبائل المخزن، التي لعبت دورا فعالا في إدارة الإيالة حتى غدت أهم الوسائل التي تعتمد عليها السلطة، فحضور رجال المخزن ضروري عند عملية جباية الضرائب (Federman; Aucapitaine,1867)، فهم يشكلون جزءا هاما من المحلة، التي توجه سنويا لجباية الضرائب نحو الشرق والغرب والتيطري وحفظ الأمن وحراسة الطرق ومعاقبة الجناة (سعيدوني،1994، 2001) الأمر الذي جعلها الساعد الأيمن في تطبيق الإجراءات الحربية والإدارية للبايلك. إذ كانت بمثابة شرطة محلية ضد التحركات المعادية، تعمل على تطبيق أوامر البايلك وحماية مصالحه وفرض احترام الرعية له، وتدعم الحاميات العسكرية بالجنود وتراقب الأماكن الإستراتيجية كطرق المواصلات ونقاط العبور الرئيسية وهذا للحد من تحركات القبائل واحتواء تمردها بين فترة وأخرى (سعيدوني، 1992)، فمثلا الطرق الرابطة بين مدينة الجزائر وقسنطينة تراقبها عدد من القبائل المخزنية مثل مخزن الزواتنة، وحرشاوة على واد سفلات، أما ممر سور الغزلان فكان مراقبا من طرف قبائل عريب (الأرقش وآخرون، 2003)، التي كانت تحت إدارة الآغا مباشرة، وتدعم البايلك بـ1200 فارس (Robin, 1873).

خاتمة

ما يمكن أن نقوله في الأخير، ورغم المكانة التي احتلتها بلاد حمزة، كونها همزة وصل بين دار السلطان وبايلك الشرق، إضافة إلى الدور الكبير الذي كان يقوم به كلا البرجين، من حماية الطرق والحامية التركية المتجهة نحو قسنطينة، وكذلك مراقبة القبائل الممتنعة والرافضة لدفع الضرائب، إلا أن المصادر لم تهتم بدراسة المنطقة خلال العهد العثماني، ولا ندري هل هو إهمال منها، أم أن الأمر يرجع إلى كون منطقة حمزة لم تلق اهتماما من طرف السلطة نفسها، في الجانب العسكري مقارنة بالمناطق الأخرى التي تتواجد فيها الأبراج العسكرية.

المراجع

1. البكري أبو عبيد عبد الله بن محمد الأندلسي، 1992. المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

2. ج. أو.هابنستريت، 2007. رحلة العالم الالماني ج.أو. هابنستريت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، 1145هـ/1732م، ترجمة وتقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس.

3. الجيلالي عبد الرحمن، 1964. تاريخ الجزائر العام، ج3، ط2، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر.

4. الجيلالي عبد الرحمن، 1965. تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان..

5. ابن حزم أبي محمد بن علي الاندلسي، 1948. جمهرة أنساب العرب، ط5، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر.

6. ابن حمادوش عبد الرزاق، 1983. لسان المقال في النبأ عن النسب والحال، تحقيق. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

7. ابن حوقل أبي القاسم، 1872. المسالك والممالك، مطبع بريل، لندن.

8. الخالدي سهيل، 2014. التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب –البويرة نموذجا-، **معارف**، العدد 17، جامعة البويرة، الجزائر ، ص

9. ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن، 2000. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج06، تقديم، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان.

10. خلفات فاتح، 2011. قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6هـ-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر.

11. درياس لخضر ، 1990. المدفعية الجزائرية في العهد، دكتوراه دولة، معهد التاريخ، الجزائر.

12. روجي الهادي إدريس، 1992. الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية من عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان.

13. سعيدوني ناصر الدين، 1994. ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

14. سعيدوني ناصر الدين، 2004. الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد20، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس.

15. سعيدوني ناصرالدين، 1992. "الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية نموذج مقاطعة دار السلطان"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد05-06، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس.

16. سي يوسف محمد، 1998. القانون في بلاد القبائل خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد17-18، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس.

17. سي يوسف محمد، 2002. "المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد25، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس.

18. شويتام أرزقي، 2010. "إمارة كوكو 1511-1767م "فعاليات ملتقى إمارة كوكو"، تيزي وزو، الجزائر.

19. عباد صالح، 2011. الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط3، دار هومة، الجزائر.

20. غطاس عائشة وآخرون، 2007. الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر.

21. فرج محمد الصغير، 2002. تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954م، منشورات زرياب، الجزائر.

22. مجهول، 1999. تاريخ باياتقسنطينة تحقيق. حساني مختار، منشورات، حلب الجزائر.

23. محمد الشريف حسين، 2010. "تاريخ بلاد حمزة ودورها النضالي والثقافي قديما وحديثا"، معارف، العدد 08، جامعة البويرة، الجزائر.

24. محمد الصالح العنتري، 1991. فريدة مؤنسة في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق د. يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

25. مصلحة التراث الثقافي، 2005."أهم الممتلكات الثقافية لولاية البويرة"، مديرية الثقافة لولاية البويرة.

26. معاشي جميلة، 2001. الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق في القرن 10ه/16م إلى القرن 13ه/19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

27. الميلي محمد بن مبارك، 1986. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

28. ابن ميمون، محمد، 1972. التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

29. ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله، 1993. معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، لبنان.

30. Berbrugger Berbrugger A.,1857.*Les époques militaries de la grande Kabylie*, bastide, Alger.

31. Bontems C., 1976.*Manuel des institutions Algériennes de la domination turque à l'indépendance*, Cujas, Paris, France.

32. Bouabbay. 1972.*Les Turcs au Maghreb Central du 16ème au 19ème siècle*, S.N.E.D, Alger.

33. Boulifa S.A., 1925.*Le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830,* J.Bringou, Alger.

34. Boyer P., 1966".Contribution à l'étude politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger" in, *Revue de l'occident musulman et de la méditerranée,*n°01.

35. De Grammont H., 1887.*Histoire d'Algérie sous la domination Turque* (1515-1830), E. Leroux, Paris, France.

36. DevoulxA., 1852.*Tachrifat, recueil de notice historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger*, pub par Devoulx imprimerie du gouvernement, Alger.

37. Dr Shaw, 1980, *Voyage dans la régence d'Alger*, trad. de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème éd. Bouslama, Tunis.

38. FedermanH .; AucapitaineH., 1867."Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de Titteri", *RevueAfricaine* , n°011.

39. FedermanH .; AucapitaineH.,1965 "Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de Titteri"n°09.

40. Haedo F.D., 1881.*Histoire des rois d'Alger*, trad., H. De grammont, Adolphe Jourdan.

41. Mercier E., 1868.*Histoire de l'Afrique septentrionale*, T03, E.Leroux. Paris, France.

42. Nacereddine Saidouni, 2001, *L'algérois rural à la fin de l'époque ottomane de (1791-1830)*, Dar al-Gharb al-Islami, Beyrouth, Liban.

43. Peyssonnel et Desfontaines, 1838. *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger*, Librairie de Gide, Paris, France.

44. Rinn, 1900.*Le Royaume d'Alger sous le dernier dey*, A. Jourdan, Alger.

45. RobinJ.N., 1873."Le bey Mohamed Ben Ali ED-DEBBAH" in *Revue Africaine*,n°17.

46. RobinJ.N., 1873."note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande Kabylie" in *Revue Africaine***,** N17.